٧



كتاب

الفردوس العقلي

وكتاب

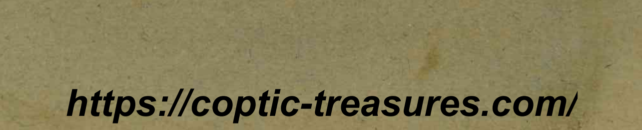
العلم والعمل

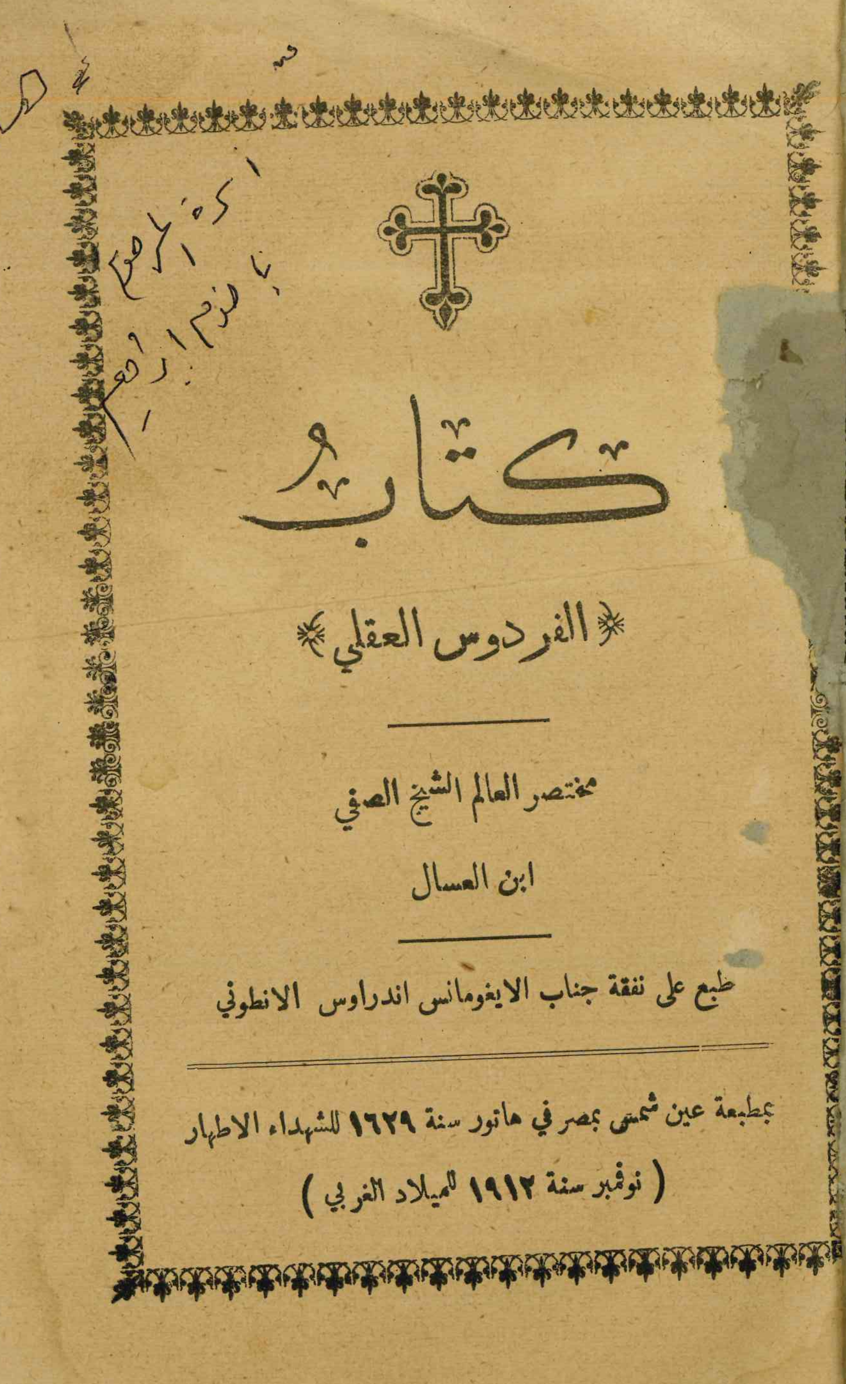
طبع على نفقة جناب الايغومانس اندراوس الانطوني

وتنقيح صاحب مطبعة عين شمس

بمطبعة عين شمس بمصر في برمهات سنة ١٦٢٩ للشهداء الاطهار

(مارس سنة ١٩١٣ للميلاد الغربي)





كتاب

الفردوس العقلي

مختصر العالم الشيخ الصفي

ابن العسال

طبع على نفقة جناب الايغومانس اندراوس الانطوني

بمطبعة عين شمس بمصر في هاتور سنة ١٦٢٩ للشهداء الاطهار

(نوفمبر سنة ١٩١٢ للميلاد الغربي)


https://coptic-treasures.com/



قداسة البابا المعظم انبا كيرلس الخامس

بابا وبطريرك الكرازة المرقسية



— مقدّمة —

الحمد لله الذي أنار بصائر المؤمنين بساطع نور هدايته ٠ وارشد افكار اتقيائه الى حقيقة عبادته ٠ وأوضح لهم طرقه الخلاصيَّة التي يبلغون بها الى كمال محبته

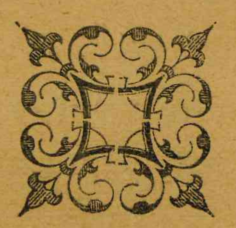
وبعد فيقول أحقر عبيد الله اندراوس الراهب الغير المستحق لاحقر المواهب اني لما نظرت الى كل من المؤمنين لخالص نفوسهم مبتغين ٠ ولمرشد امين محتاجين ٠ لتعليم الطريق القويم ٠ حتى لا يتمسكوا بظل العبادة الوخيم . لا حقيقة جوهرها المستقيم ٠ المنصوص عنها في الكتب الالهية ٠ لعدم ادراكهم قوة الالفاظ الانجيليـة فلم أرَ وسيلة احسن لبلوغ المآرب ٠ وحصول المطالب ٠ من كتاب الفردوس العقلي اختصار الصفي ابن العسال ٠ وهو يحتوي على اثني عشر فصل ٠ ويليه كتاب العلم والعمل اختصار الفاضل يوحنا ابن ساويرس الكاتب المصري وهو يحتوي على عشرة ابواب . وقد نقلا عن نسخ قديمة ٠ ولما أردت طبعهما لتعميم الفائدة منهما تقدمت وتمثلت بين يدي صاحب الرياسة الاكبر. المتحلّي بتاج المهابة الافخر . القابض على وصايا الشريعة ٠

وقائد شعبه للخلاص بالحرامة المنيعة . غبطة السيد الكلي الطوبي والقداسة . رأسنا ورئيسنا انبا كيرلس بابا و بطريرك الكرازة المرقسية . بالحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية . المائة والثاني عشر في عدد الأباء بطاركة الاسكندرية . طالباً منه الاستئذان لطبعه فاظهر ارتياحه وبارك عليّ وشجعني للعمل

وقد جاء الكتاب بحمده تعالى على ما يرام بحيث ينتفع به الخاص والعام . واسال الله المتعال . ذو العظمة والجلال . ان يجعله مفيداً للطالبين . ونجاحاً للراغبين . بمنه وكرمه وله الشكر دائماً امين ✠

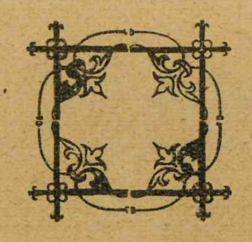
القمص

اندراوس الانطوني



فهرست

« تمت الفهرست »



بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد

(الفصل الاول)

« في خلقة الانسان وسكناه الفردوس العقلي الخ »

ان الله تعالى خلق جسم الانسان من الاستقصاآت أي العناصر الاربعة . وهي الارض والماء والهواء والنار . وخلق روحه سموية غير مرئية حية عاقلة . على صورة الله ومثاله . وغرس في ارض قلبه شجر الفضائل الخاصة بالاله تعالى . وأمره ان يعمل في فردوس قلبه ويحفظه ويتمتع بالاثمار العقلية كالملائكة

فعقله اي الإنسان الباطن هو صورة الله وشبهه . وهي المنصوبة فيه شجر الفضائل . امره الباريء تعالى ان يفلّح حولها ويحفظها . أما جسمه الحسي اي الانسان الظاهر فجعله في الفردوس الشرقي الحسّي ليفلّحه ويتمّع باثماره الحسية .

فلما خدعه المحتال بالحسيَّات والتشويق الى التألُّه وعصي وصيَّة الله وأطاع مشورة الشيطان جنح إلى لذَّة البطن كالبهائم . وإلى التكبر كالشيطان الذي سقطَ بمثل هذا التكبر و به قد خدع الانسان . وأخرج جسمه من الفردوس الحسّي نفياً الى

هذه الارض التي أمرها الله ان تنبت له شوكاً . وحكم عليه بالاحكام المنتهية الى موت الجسد وأخرج عقله من الفردوس العقلي الذي تقطنه الملائكة . وفارقهم مما كان يماثلهم فيه من تسبيح الباريء بلا فتور ومشاهدة الجمالات الالهية . والاغتذاء بثمر الفضائل العقلية . وأغلق دونه باب الفردوس ونُفي الى أرض الآلام التي تنبت شوك الرذائل . ونفذت عليه باقي الاحكام التي غايتها موت النفس والبعد عن الله وهذا هو ثمرة المخالفة . فالفردوس الحسيّ قد جُعلَ على بابه شاروبيم بيده حربة نارية متقلّبة يمنع انسانه الظاهر من الدخول اليه . ليعرف كرامة طاعة الباريء ومرارة ذل المعصية فيندم . واذا أحس بالاحزان ووجد الآلام في الارض التي نُفي اليها . يذكر نعيم الفردوس وعدم التعب فيه و يبكي على معصيته. والفردوس العقلي غُلقَ بابه دونه وجعل عليه فكر الهموم الحسية المتقلبة المعيقة عن عمل الوصايا والمفسدة لها . فاذا أحس بآلام الرذائل وتعب في اكتساب قوة الفضائل . ناحَ على عصيانه الذي ارتكبه فعوضاً عما كان موافقاً للملائكة في الطهارة صار موافقاً للبهائم . وبدل ما كان دأبه التسبيح معهم صارت دراسته في الافكار الردية .

وانا نشاهد من حال الانسان الذي اذا اشتاق الى محبة الله ومخاطبته بالصلاة النقية . فتحوم حوله الافكار الناشئة عن عدو الخير في الاهتمام بالحسيات ومحبة اللذات . والشغف بالمرئيات . وتصور الامور الحسية . والافعال الردية . ويتأمل المشتهيات . فتوقعه في المحذورات العالمية . وكذلك اذا شغف بمحبة القريب فيتراكم عليه افكار الغضب والحسد وباقي الآلام التي تمنعه من ان يحبه المحبة التامة التي أمر بها . وكذلك الحال في باقي الفضائل التي اذا عزم على عملها وممارستها يجد ربوات افكار تعوقه عنها .

وهذه الآلام قد جاءت عرضاً للانسان بسبب المعصية . لانه لم يعرف مقدار النعمة التي وصلت اليه بلا تعب اكل خبز الفضائل بعرق جبينه . والفضائل هي غريزية للعقل الانساني . والرذائل آلام عرضت له وطرقت عليه . كما يعرض الصداء لجوهر المرآة الصقيل فيحجب نوره .

فيجب على الانسان اولاً ان يقتلع شوك الرذائل الملتف حول شجر الفضائل . ويجرد عن جوهر العقل الصافي صداء الآلام الذي يحجب نوره وبهاءه . وينظف أرض قلبه من احجار وحشائش الآلام ويفلحها جيداً بالآلات التي هي الصوم .

البتولية . السهر . العبادة . والخدمة لله . السكون . الزكوة . الزهد . تجنب مخالطة الناس الاشرار . التيقظ . هدو العقل . الإمساك عن الشهوات . وبالجملة يحرثها بالفدان او بالمحراث العقلي .

فان الرب قال من يضع يده على سكة المحراث فلا يلتفت إلى ورائه . لئلا يكون غير مقوّم السعي الى ملكوت السماء .

فالمحراث هو العلم والعمل . والفلاَّح هو العقل . والفكر هو يده . وسكة الفدان او المحراث هي الرغبة في الاعمال . فان التفت العقل وقت فلاحة ارضه إلى ورائه . اي إلى الآلام السالفة وتأملها . فلا يكون سعيه في الاعمال الصالحة مقوّماً الى ملكوت السماء .

فالعقل اذاً يجب ان يكون ناظراً الى القصد التام في استعمال الآلات المتقدم ذكرها . ثم بعد التنظيف والتفليح يزرع الوصايا التى هي الصلاة والرحمة والطاعة والتفكر في البرايا وفي الموت وبذل الموجود من مال وجاه . وعلم ومحبة الاحباء والاعداء واضافة الغرباء واحتمال الاذى والارشاد إلى الفضائل وباقى الوصايا . وينظر في زرعه الى القصد التام الروحاني الذي هو اشارة العقل في كل اعماله إلى مشيئة الله الصالحة من دون التفاته الى اعراض الآلام لئلا يعدم زرعه من اثمار الفضائل .

التي هي المحبة والفرح والسلامة والدعة والاتضاع . ثم التأني والسذاجة والتمييز وباقي الفضائل التي اشجارها تأتي باثمارها بعد فلاحتها . لان ماهية الفلاحة تنحصر في معرفة كيفية استثمار الشجر المهمل . عديم الثمر بكل وسيلة . فالانسان يفلح و يزرع والاله يمطر ماء الدموع و يشرق شمس الخشوع . ويهب رياح الاحزان فينبت الزرع وينميه .

ولنذكر يسيراً من التفات العقل الى الاعراض الردية . مثلاً يكون مصلياً مناجياً لله باهتاً الى جلاله فيلتفت الى مناجاة الافكار . ويتأمل الى الحسيات . ومداينة مَنْ لا يصلي . او يومئ الى التظاهر بالصلاة ابتغاء مديح الناس وما شاكل ذلك .

فالقصد التام هو التوجه نحو السمائيات الروحانيات وترك الالتفات نحو الارضيات الجسمانيات . والى هذا اشار الرب بقوله : « ان كنت قلت لكم الارضيات فلم تؤمنوا . فكيف ان قلت لكم السمائيات تصدقونها » . فالجسمانيات هي الامثال وظاهر الاقوال التي خاطبنا بها . والروحانيات هي معقولاتها الموجودة في عمقها . التي يعلنها الروح القدس للعقل النقي الكامل فيفهمها على قدر رتبة الطهارة التي وصل اليها .

هذا ولنشرح لك شجر الفردوس العقلي الروحاني وما اشتمل عليه من الشوك والآلام الحسية ونشرح الاسباب المولدة للاعراض التى هي الصداء الطارئ على صقل العقل . وزهوته المكدرة لصفائه . وذكر الآلات التى بها تقطع الاسباب المولدة لهذه الاعراض مع وصف الادوية الانجيلية الشافية لكل الامراض والمزيلة لجميع الآلام ونلخصها لك هنا .

– اولاً – (الامانة) وهي مبدأ الفضائل ويعرض عليها او يضاددها الكفر والشك . واللذّات والرياسات والكرامات بسبب محبة هذه الحياة والاعتياد على الترف والتنعم والمحسوسات . ويقطع ذلك الزهد التام عن القنيات واللذات . وتحمل الهوان بقصدٍ كاملٍ مرضيّ لله . والخوف من الشك .

اما الوصية التى تزيله فهو قول الرب : « مهما استطعت فآمن . ومَنْ يؤمن يمكنه كل شيء » .

– ثانياً – (المحبة) وتعترض عليها البغضة التى نشأت عن محبتنا لذاتنا محبة جسمانية فتولدت من ذلك الاستهانة بالقريب وحسده وبغضه . ويقطع ذلك الزهد التام عن القنيات واللذات والكرامات واعتياد حسن الثناء على الناس اي المديح

واقتصار القلب على محبة من يبغضه والتودُّد لمن يعاديه ·

والوصية التي تزيله هي : « حب قريبك مثل نفسك وحبوا اعداءكم واحسنوا الى مبغضيكم »

— ثالثاً — (الرجاء) سوء الرجاء تولد من رجائنا الفوائد والتمجيدات العالمية · فأمل هـذه الحياة ولذاتها · ولَذَّ الوقوع في الخطايا · والسبب في ذلك هو الاشفاق على الجسم والاهتمام بترفهـه ولَذَّاته · ويقطع ذلك تحمل الشقـاء والاعتماد على مواعيد الرب بامانة كاملة ·

والوصية التي تتغلب على ذلك هي قوله : « أن فرحاً عظيماً يكون في السماء بخاطيء واحد يتوب · ومَنْ ترك من اجل اسمي مهما كان يأخذ عوضه مائة ضعف وحياة دهرية » ·

وهكذا (مخافة) الله عرض عليها مخافتنا للناس والتماسنا رضاءهم فيما يسخط ويغضب الله · وهذا تولَّد من خوفنا من عقوبات السلاطين اكثر من الله فحدث من ذلك الكفر بالله واستحقينـا السخط منه لرياءنا للنـاس ومحاباتنا لهم والكذب عليهم · وتحسين الخطاء للرئيس والغني والقريب والصديق · ويقطع ذلك ان لا نخاف شيئاً أكثر من مخافتنا لله · والزهد

في العالميات والصبر على المؤلمات والمحزنات :

والوصية التى تزيله هي : « لا تخافوا ممن يقتل الجسد وليس لهم قدرة ان يفعلوا اكثر . بل خافوا من القادر ان يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم » .

ثم (الافراز) او التمييز تولَّدَ عدمه من تمييزنا في الحذر من الامور المؤذية للجسم فقط فنشأ التهجم على الامور الضارَّة للنفس . وذلك لاستعمال الافراز في غير واجبه . والاصل في هذا اكتفاء الانسان برأيه وتيقنه بانه كفوءًا بان يفرز الخير من الشر . ويقتلع ذلك بواسطة الدخول في الطاعة . وادمان المشاورة . ولا يعتمد على رأي نفسه

والوصية التى تزيله هي : « مَنْ يتبعني لا يمشى في الظلمة » . اي من يتبع سيرته الفاضلة يكون له نور حياة الافراز الذي به يميز الخير من الشر .

وكذا (الرحمة) عرض عليها القساوة . وهذه تتولد من رحمتنا لذاتنا واهلنا واصدقائنا فقط . فنشأ من هذا فينا عدم الامانة ومحبة الفضة والشح بالموجود . وتعيير المساكين . ويقطع هذا الزهد في القنيات . وتصديق وعد الرب وتوعده . واجهاد

واقتسار القلب على رحمة الكلّ بالسواء .

والوصية التي تزيله هي : « طوبى للرحماء فانهم سيرحمون . وكونوا رأوفين مثل ابيكم السماوي المنعم على الاخيار والاشرار . وأريد الرحمة لا الذبيحة » .

ثم (الحلم) قد عرض عليه الجهل وهذا تولّد من حلمنا عمن يحسن الينا او يرأس علينا فقط . ويفوقنا في العلم والحظ او النصيب . فنتج عن ذلك الغضب ضدّ كل مَنْ يؤلمنا ويحزننا ومَنْ هو مساوٍ لنا . او ممن هو دوننا . واصل هذا هو كون الإنسان يجهل مقدار ذاته ولا يتيقن انه مهما عمل مع عبيد الله . صغيرهم وكبيرهم . فهو واصل إلى سيدهم . ويقطع ذلك دراسة وصايا المسيح ملك الكلّ . وتذكر حلمه على المسيئين اليه ايثاراً أو رغبة في رجوعهم وتوبتهم .

والوصية التي تزيله هي : « انا اقول لكم لا تغضبوا على احد »

ثم (العدل) عرض عليه الجور او الظلم وهذا تولّدَ من الانتظار للأباطيل فولّدَ ايثار او حب الانتقام . وسبب ذلك الرغبة في استعمال الشهوة والغضب . والقوى الحيوانية والإنسانية في ضدِ ما خُلقتْ له . ومحابات الناس واسترضاءهم فيما يؤثرونه

من مخالفة الله تعالى . و يقطع ذلك استعمال القوى والوصايا في مكانها وآوانها وحدودها .

والوصية التي تزيله قوله تعالى : « كلما تريدون أَن تفعله الناس بكم افعلوه انتم بهم ايضاً » .

ثم (العفة) عرض عليها الزنا وهـذا تولَّدَ من تعففُّنا من أقربائنا الطبيعيين فقط . فطمعنا في الزنا بأقربائنا الروحانيين . ومن جحودنا حضور الله الذي يراقب قلوب الكلّ . وسببه الاكثار من الاكل والشرب والراحة والنوم . واطلاق الحواس في معاينة حسن الأجسام وجمالها . وسماع الاصوات المتفقة الملحّنة او الرخيمة واستنشاق الارياح الطيبة . والمزاح والضحك ومحادثة النساء وتصوّرهن وتذكرهن والحديث في معناهنّ . ويقطع ذلك الصوم والسهر والانفراد . والتصديق ان المؤمنين والمؤمنات هم اعضاء المسيح .

والوصية التي تزيله هي : « مَنْ نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنا بها في قلبه » . أي زنا بعقله . واستوجب دينونة الزنا .

ثم (الشجاعة) عرض عليها الجبانة حتى صرنا نخاف من الاماكن الخالية والظلمة ونتّقي العقوبات الحاضرة لا عقوبات

الآخرة . وسببها عدم الأمانة والشك في حضور الإله في كل مكان . ومحبة هذه الحياة . ويقتلعها الإيقان بحضوره تعالى دائماً . ودوام ذكره بلا فتور واحتقار هذه الحياة . والوصية التي تزيلها . هي : « لا تخافوا من قاتلي الجسد دون النفس » .

ثم (التواضع) عرض عليه الكبرياء . فتواضعنا لمن يفوقنا ويرأسنا وتكبرنا على مَنْ يساوينا أو مَنْ هو دوننا في الغنى والجاه والعلم فاحتقرناهم وتكبرنا على الله تعالى بتعظمنا ذواتنا وظنِّنا حصول المواهب بحرصنا وقوتنا . فولَّدَ ذلك اللوم والثلب . وسببه محبة اللذّات ومديحها . والثقة بقوتها ونسيان خطاياها . ويقتلعها أحتمال الهوان . وتذكر الخطايا وتأمل الإنسان مناقص نفسه . والأقتداء بتواضع المسيح . وتذكر قوله تعالى : « أنه بدوني لا يمكنكم أن تعملوا شيئاً » اي بغير قوّة معونته لا نقدر ان نكمل شيئاً من الخير . والنفور من المديح والإكرام ومن الرياسة والتعليم وافتكار الزوال والبلاء . والوصية التي تزيله . هي : « مَنْ يتضع يرتفع » . وكيف تقدرون « ان تؤمنوا بالله وانتم تطلبون المجد من الناس » . « وتعلّموا مني فإني وديع ومتواضع القلب » .

ثم (الوداعة) عرض عليها السخط والحرد اي الغضب والتمرد · وسببهما الظن المتعاظم في الذات وفي جميع التصرفات والاعتداد بالرأي · ويقطع ذلك ان نتيقن ان الوداعة هي من خواص المسيح والتمرد من اختصاص الشيطان · والوصية التي تزيله هي : « تعلموا مني فإني وديع ومتواضع القلب » ·

(طول الروح) عرض عليها صغر النفس فولد التضجر من المحن والتذمر في المصاعب · وسببه التزام راحة الجسد وعدم اعتياد التعب والشقاء · ورجاء عدم الآلام والاحزان ويقطع ذلك الصبر ورجاء الاجر ممن لاجله قد صبر · والوصية التى تزيله هي : « طوبا لكم إذا عيروكم وشتموكم من اجل اسمي » ·

(البساطة) اشتملها الخبث المتولد من استعمال التعقل في غير موضعه · المولد لسوء الظن بالله وبالناس · وكتم العزائم والافعال · ويقتلعه مداومة المشاورة وتصديق اقوال المؤمنين وافعالهم · والوصية التى تزيله هي : « كيف يمكنكم ان تتكلموا بالصالحات وانتم خبثاء » . لان الفم من فضل ما في القلب يتكلم » · وايضاً « طوبي لانقياء القلب فانهم يعاينون الله » ·

(الصبر) عرض عليه الضجر فوجد استثقال المحن

الاضطرارية. وسببه ايثار الراحة. و يقطعه اعتياد الشقاء. والوصية التي تزيله هي: «بصبركم تملكون أنفسكم».

(الطاعة) عرضت عليها المعصية وهذه تولدت من طاعتنا لمشيئاتنا فولَّدَت الخطايا. وسببها الشك في وعد الله ووعيده والغفلة عنهما. ويقطعها ان يذكر الإنسان أن معصية الجد الاول أنتجت الموت العقلي والحسي. ويتذكر الاقتداء بالرب القائل: «ما نزلت من السماء لاعمل مشيئتي بل مشيئة الذي ارسلني» والوصية التي تزيلها هي: «مَنْ يخالفكم فاياي يخالف. ومَنْ يطيعكم فلي يطيع. ومن يطيع الإبن فله الحياة الدائمة».

ثم (الوَرَع) عرض له التهاون. وسببه اعتياد المزاح والكسل ومحبة اللذة وهي ام التواني. والتواني هو اصل نسيان الوصايا. ويقطعه تذكر الموت والدينونة. واعتياد الانقباض والصمت وقبول التوبيخ والوصية التي تزيله هي: «لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار. واذا عملتم جميع المأمور به. قولوا انا عبيد بطالين. وستعطون جواباً عن كل كلمة بطالة».

(النشاط) اشتمله الكسل. وهذا تولَّد من نشاطنا في افتعال الاعمال المنهي عنها. فولَّد البطالة عن تأدية المأمور به. والسبب

هو محبة اللذّة والزام الراحة . واعتياد الترفُّه ونسيان الموت والدينونة . ويقطع ذلك تذكر الموت والعذاب دائماً ومجاهدة الشهداء . وحرص القديسين . والوصية التى تزيله هي : « من يحب منكم ان يكون أولاً فليصر آخر الكل وعبداً للكل »

(عدم الحقد) اي التسامح عرض عليه الحقد وهذا تولّد عن رضائنا عمّن يوصلنا الى مرادنا . فولّدَ الحقد على ما يعوقنا عن تنفيذ مشيئاتنا او يوقعنا في خسارة او يشتمنا او يؤلمنا . والسبب هو تزكية الذات واحتساب الذنب للغير . وتذكر سيئاته . ويقطع ذلك احتقار الذات . ونتيقن اننا متى ما تذكرنا سيئات قريبنا الينا ولم نصفح عنها . ذكر الله خطايانا ولم يصفح عنها . لانه يكون مع الانسان نظير قلبه . ان كان صفوحاً سموحاً او ان كان منتقماً . والوصية التى تزيله هي : « ان لم تغفروا لاخوتكم هفواتهم من كل قلوبكم . فلا يغفر لكم ابوكم السماوي زلاّتكم »

(الصفح) عرض عليه الانتقام وسببه محبة الغلبة ويقطعه الاقتداء بالرب « القائل يا أبتاه اغفر لهم فانهم لا يعلمون مايصنعون »

(الزهد) عرض عليه محبة القنيّات والكرامات وهذا

تولَّدَ من الغفلة عن الخيرات المستأنفة فولَّدَ محبة مجد العالم والتنعم الزائل . والسبب في هذا هو الامل ونسيان الموت . ويقتلعه مداومة ذكر الموت وتيقُّن سرعة زوال الحاضرات الوقتيات . والتشوق الى الخيرات الدائمة وبغض الرئاسات . والوصية المزيلة له هي : «لا تكنزوا لكم كنوزًا . لا ذهب ولا فضة . وحيث تكون كنوزكم فهناك تكون قلوبكم » .

(الصدق) عرض عليه الكذب وسببه المجد الباطل واتقاء التعيير وإيثار المزاح والرياء وكتم الخطايا . ويقطعه اعتياد الصمت والاعتراف بالهفوات ومقاومة المجد الباطل وقبول التوبيخ . والوصية التى تزيلة : « انا هو الحق والحياة » والمحتال هو الكذَّاب وابو الكذب .

(القناعة) اشتملها الشره . فولَّدَ اعتياد الشبع والزنا ومحبة القنيات . ويقطعه الصوم ومحاسبة النفس على الزائد عن الحاجة . وتذكر ان لذة الاكل أوجبت مخالفة الوصية والاقتداء بالرب القائل : « ان ابن الانسان ليس له موضع يسند راسه اليه » . والوصية التى تزيله هى : « احذروا الشبع والسكر » . وايضاً « ان الشره ينجس » . وايضاً « الويل لكم ايها الشباعى فانكم ستجوعون » .

(الاعتذار) اشتملته الدينونة لما عذرنا نفوسنا وتركنا مداينتها على زلاتها صرنا ندين هفوات القريب . وسببها العظمة . ويقطعها الاشتغال بمحاسبة النفس لذاتها على هفواتها عن مداينة الغير . واعتياد حسن الثنا على الناس والاتضاع لهم . والوصية التي تزيلها هي : « لا تدينوا لئلا تدانوا . فكما تدينون تدانون . وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم » .

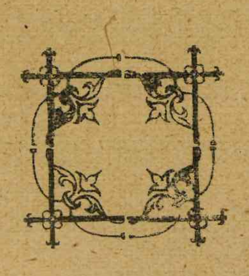
(الاكرام) اشتمله الاحتقار وهذا تولد من اكرامنا ذواتنا وتزكيتها وتحسين خطاياها فتولد الاحتقار للقريب والاستهانة به وسببه الكبرياء وظلمة العقل . والوصية المزيلة له . هي : « من أكرم أحد اخوتي هؤلاء المساكين باسمي ينال ثواب مكرمي . والذي يهين أحدهم خير له أن يعلق في عنقه حجر الرحى ويغرق في البحر » .

(الفرح) اشتمله الحزن . وتولد هذا من فرحنا بالمديح والكرامات واللذات وسائر المأثورات الاختيارية فولد الحزن في المحن الاضطرارية . بسبب فقد الشهوات والانقطاع عن اتمام المشيئات . ويقطع ذلك الرجاء بالفرح الموعود به عن المحن . والتيقن بان المحزنات في هذا العالم ضرورية . وان النفس فيه كالطفل

في ظلمة الاحشاء وضيقها . واذا وُلدت في العالم الآتي فرحت ولم تذكر حزنها كما أُخبرنا ربنا . والوصية المزيلة هي : « افرحوا وتهللوا فان اجركم عظيم في ملكوت السماء » . وايضاً « ان لكم ضيق في هذا العالم . لكن تقوَّوا أنا غلبت العالم » . وايضاً « ان حزنكم يؤول الى فرح » .

(الدعة) اشتملها المحك (اي اللجاجة وعسر الخُلق) وسببه الحسد على الرتب العاليـة وايثار الغلبة واكمال المشيئة ومخافـة النقص ونصرة الرأي . ويقطعه مخالفة الهوى ومخافة الله . والوصية التي تزيله هي : « لا تقاوموا الشر . ومَن طلب محاكمتك واخذ ثوبك فزده رداءك » والمجد لله دائماً .

تم الفصل الاول ويليه الثاني



الفصل الثاني

(في ايضاح وجود الفضائل في الطبيعة البشرية وكمال بيانها)

الدليل على ذلك ظهور الفضائل من الناس ظهوراً جزئياً على قدر فلاحة نفوسهم . ولو لا وجودها فيهم وامكان ظهور آثارها منهم لما امرنا الرب بعمل الوصايا الفاضلة المنيرة للنفس العاقلة التى خلقها الله على صورته ومثاله . اعني بما انها غير مرئية ولا محوية . وباقية غير بالية . ولها السلطة في ذاتها . والفضائل فيها غريزية . فبمعصية الوصية عرض لها صداء الرذائل . فحجب نورها . وبطاعة الوصية ينجلي صداءها ويظهر نورها .

فاما (الامانة) فكل احد يصدّق بما يعاينه ويسمعه . وبالجملة ما يحس به بحواسه ويجده او يشعر به من نفسه . والامانة التامة ان يصدق بوجود الإله باريء جميع المخلوقات المرئية وغير المرئية . وحضوره فيها كلّها . وانه لا يخفى عليه فكر ولا قول ولا فعل ولا حركة . ويتيقن وجود الخيرات المنتظرة كالحاضرة ويصدق اقوال الرب ووعده ووعيده .

(الرجاء) كل احد يرجو يقيناً ما قد خَبَرَه بحوّاسه كرجاء

استغلال الزروع . والرجاء التام ان نرجوا ما لم نره كاننا قد رأيناه . فنيتقن الحياة الخالدة . والنعم المستأنفة وجزاء الفضائل والرذائل .

(المحبة) كلّ أحد يحبّ ويكرم من يحبه ويكرمه . والمحبة التامة ان يحب ويكرم من يبغضه ويهينه ويؤذيه .

(المخافة) كل احد يخاف من المتسلطين ومن الفقر والمصاعب . والأفضل ان يخاف من الله وحده . ومن ان لا يخاف شيئاً اكثر من خوفه منه .

(الافراز) كل احد يميز أمر معيشته وصناعته وتجارته ويختار الاربح فيها ويتجنّب الأخسر منها . والتام او الأفضل تمييز فوائد الفضائل الروحانية . وإفراز الحيل الشيطانية . ومعرفة الافكار الطبيعيّة والخواطر الإلهية .

(العفة) كل أحد يعفّ عما لا يصل اليه . إما لضعف طبيعته أو لقصر يده . والعفة الكاملة ان يعف عند الاقتدار والتمكن .

(الوداعة) كلّ أحد يتظاهر بالوداعة قدام مَنْ هو أعظم منه اذا غضب عليه . والأفضل أن يتحمّل الهوان من الكل ظاهراً وباطناً . معتقداً أنّ مهينه يداوي نفسه .

(البساطة) كل احد يظهر البساطة قدام مَنْ لا يمكنه

ان يتخابث عليه . والبساطة التامة هي اطراح المكر في جميع الاقوال والافعال . وان لا يكون باطنه ضد ظاهره وان استعمل المكر عند الضرورة له فبنيّة صالحة لمنفعة نفسه وقريبه . كمكر القوابل المصريات ومكر راحيل ورحاب . لانه لو كان لحواء هذا المكر لما كانت أُصطيدت . أو مثل تظاهر موسى لفرعون بالذبيحة وكان قصده الخروج بالشعب . وكتظاهر داود بالجنون . او كصيرورة بولس مع اليهود كيهودي ليربح اليهود .

فالامور الغاشة والجاذبة المماثلة لهذه ليس مستعملوها في الحقيقة غاشّين ولا كذبة بل هم حكماء في الخير ودعاء في الشرّ . وينبغي ان نحفظ غاية التحفّظ اذا اضطررنا لشيء من ذلك . ولا نقرن مثل هذه الاقوال بقسم . وان لا نذكر اسم الله الاَّ على الحق وحده لضرورة كبيرة . فداود النبي يقول « الرجل الكاذب المحتال والمغتال الله يبغضه » . ومَنْ قصدَ بالغش والكذب ان ينفع نفسه او قريبه او صديقه و يضرّ غيره فهو يكون كالشيطان المحتال على الانسان لاضراره . وكاليهود الذين شهدوا على الربّ كذباً .

(الصبر) كل احد يصبر على الامراض والاحزان الاضطرارية كارهاً . والكامل ان يصبر عليها متيقناً انها أدوية

شافية وطريقاً مؤدياً إلى ملكوت السماء ·

(الطاعة) كل أحد يطيع فيما يصوّبه رأيه وتؤثره مشيئته ويخضع لمن يرأسه اضطراراً · والكاملة ان يطيع في الامور التى تضادد مشيئته لمن يأمره بوصية الله ومراده · صغيراً كان او كبيراً . غنياً كان او مسكيناً ·

(التحنن) كل أحد يتحنن على اولاده وأهله وأحبائه · والأفضل والتام ان يتحنن على الناس كلهم وعلى سائر الحيوانات فلا يؤذي شيئاً من مخلوقات الله ·

(النوح) كل أحد ينوح في أحزان هذه الدنيا والكامل او التام أن ينوح على مخالفة الباريء تعالى ·

(الصمت) الكامل ان يصمت عقله عن الافكار الضارّة · وفمه عن الكلام الذي لا يفيد · وان يفكر عقله في جلال الله وجمال خلائقه وخوّاصها واشكالها وأفعالها · وينطق دائماً بتسبيح الله عزّ وجلّ ·

(السهر) والسهر التام هو تيقظ العقل ومراصدته مكائد اللصوص ·

(رصد العقل) كل أحد عقله ناظر الى ما يؤثره ويدبره · ورصد العقل الكامل هو ان يكون الإنسان باهتاً بعقله إلى الله

بلا جنوح. ويجب ان يكون شاخصاً إليه تعالى. اذ أنه لا يرى كمرئي حاضر. لأنه تعالى حاضر دائماً وناظر إلى العقل. فاذا رآه يجاهد بكل قوته ولا يجنح إلى تصور شيء آخر ولا يفكر فيما سواه. ولا ينطق الا بتسبيحه كأنه يناجيه. فحينئذ يجتذبه. ويطهره. ويسكنه كوعده الصادق. والدوام في هذا والمثابرة عليه أجلّ الاشياء. لانه يوضح المحبة لله وحده من كل القلب. وبكل القوة والزهد من أجله فيما سواه. وهذا هو مفهوم قول الرب «إنما أتيت لألقي ناراً على الارض وما أريد إلاَّ اضطرامها». اي يريد اضطرام نارا محبته في قلب الانسان. فمَن أحبَّ او آثر هذه الفضيلة التي هي اجلّ الفضائل فسبيله ان يميت ذاته عن مقتنيات العالم وهمومه وتحيل اموره. والمجد لله دائماً.

تم الفصل الثاني و يليه الثالث



– الفصل الثالث –

« في نهاية الفضائل والرذائل »

الامانة كمالها أن يصدق الانسان ان الله الآب والابن والروح القدس هو خالق البرايا المرئية وغير المرئية وحاضر في الكل ومطّلع على القلوب دائماً . ومدبر للكل احسن تدبير . وان يتيقن ان مواعيده تعالى ووعيده حقيقية . ولا تزعزع امانته تقاطر وتعاقب المحن الاضطرارية فيتذمّر فيها ولا يحملها لين العيش وتمتع النعم فيجنح عن الوصايا الشرعية .

(الرجاء) كماله أن يترجّى القيامة والدينونة . ويرجو او ويؤمّل عن التعب في الفضائل التمتع بملك السماء الدائم . ويتوقّع عن البقاء في الخطايا العذاب الدائم . ولا ييئس من رحمة الله ولو سقط في قاع الخطايا . بل يرجو انه بالتوبة يعود الى كمال الطهارة ومرتبة البنوّة ووراثة الملكوت .

(المحبة) كمالها ان يكون في المرض والألم والفقر والحزن وجميع المحن الاضطرارية لا تنقص محبّته لله ولا يفتر عن الشكر له ولا يذم تدبيره . وكذلك لا يفصله عن محبته له تعالى لا

دوام صحة او سلامة او غني او كرامة بل يكون في الحالين حافظاً لوصاياه . وأن يحب مَنْ يحبه و يبغضه بالسواء . وان يتقرب لمن يؤذيه ومَن ينفعه بكل ما تصل اليه قوته . ويتمنّى لهم النعم الارضيّة والسمائية . و يجتهد أن يفديهم بنفسه من الآلام والاحزان الحاضرة . والعقوبات المتوقعة في الآخرة .

(مخافة الله) كمالها أن يثبت في اوان سلامته وطيب عيشته . وأن يجزع من أن يهمله الله ومن أن يعمل ما لا يريده تعالى .

(الافراز) كماله أن يفرز بارتياضه وتدبُّره الافكار الصالحة الالهية والرؤيات العقلية والخواطر الشيطانية ليتمسك بالصالحة ويتجنّب الطالحة . ويعرف خبثها من ثمراتها لانها تثمر الخبث والتعظم والحسد ومحبة الذات والمديح الباطل .

(الرحمة) كمالها ان كان غنيّاً فلا يمنع رحمته عن احدٍ حسب قدرته . وان كان فقيراً فيتوجع للمحتاجين بقلبه ويتمنّى ما يُفرّج به عنهم . ويحتال في ذلك بجهده ولا يوجع قلب احد ولو في حال غضبه عليه ولا بمجاوبته ظاهراً ولا بتقطيبه في وجهه عامداً .

(الحلم) كماله أن يكون ساكناً على حالةٍ واحدة في حضور ثالبه وغيبته وعارفاً قدر شرف الإنسان .

(العدل) تمامه أن يكون جليل الحظ فينصف المسكين من تلقاء نفسه . ويعدل في استعماله حواسه الظاهرة والباطنة . وقواه الطبيعية وخواصة الحيوانية والنطقية .

(العفة) نهايتها ان يكون بجسه في مشاهدة الأشياء كأنها لا نفوس لها . وان لا يكون بين جسمه والأجسام المقبورة فرق في عدم الحركة الى الخطية .

(الشجاعة) تمامها ان يكون ضعيف الجسم قليل العلم و يبرز بقلبه الي شقاء الفضيلة ويقاوم المصاعب المعوقة عنها . و يتسلح بالامانة بإزاء الخيالات والرؤيات او الوحيات والكاسرات والعميات . متيقناً ان مَنْ يخاف الله تخافه سائر المخلوقات . ومن لا يخاف منه تعالى يخاف هو من كل شيء .

(عدم العجب) تمامه ان لا يتسرق فكره بحضرة الناس . وان يكون زيه حقيراً .

نهاية (الحرد [1]) ان يغتاظ مما لا يجب . ويتنغص من اعراض غيره عنه . ومن تباطئه عن استقباله واكرامه . وكمال الوداعة ان يكون قلبه في آوان البغي عليه والسب له مستكناً .

(١) الحرد يقرب معناه من غض النظر او الاحتقار

(البساطة) الكامل فيها ان يكون ظاهره وباطنه مع الناس كلهم بالسواء · ولا يتقلَّب رأْيه في تقلبات الامور · بل يكون كالصبي الذي لا يعرف الشر ولا يفكر في انتقام ولا يحقد ولا يرائي ولا يذكر شر مَنْ يؤْذيه ويحزنه ·

(الورع) أَن يتوقَّى اصغر الهفوات ويتخوف من مخالفة اصغر الوصايا . ويتجنب الادلال وكثرة الكلام · خائفاً من اعتياد الردي · ويمقت الافعال التي مقتها الله ويؤْلمه او يلومه ضميره عليها ·

(عدم الحقد) أَن يسبق محزنه في طلب الصفح منه ويصلي عليه اذا ذكره · اذ أَنه قد صار سبباً في تكميل وصية الله وموجباً لغفران خطاياه · ويتيقن انه لا يقدر ان يكافئه عن هذا الاحسان.

(الانتقام والصفح) ان لا يمكنه الانتقام من محزنه ظاهراً فينتقم منه خفياً بقلبه ويغتاظ لعدم تمكنه . ويتحيل فرصة للانتقام وينتظر امكانه ويتمنى الظفر به . ويسر بالوصول اليه ولو بما أوصل السوء لمحزنه ولو بيد او بواسطة غيره · — والصفح فهو بخلاف ذلك اي أَن يترك الانسان لاخيه ما عليه من الزلاَّت

(الزهد) ان لا يتأَسف على فقد الموجودات عالماً بأَن هذه المقتنيات لا تنتقل معه · وأَن الذخيرة الباقية معه هي

الفضائل ثم ان لا يشفق على شيء له حتى ولا على جسده ·

(الدينونة والاعتذار) ان يدين قريبه على الهفوات الحقيرة والزلات الصغيرة ويؤنبه او يلومه ويحتقره · ونهاية الاعتذار ان لا يوبخ على الخطايا فاعليها بل يبغض الخطية ويعذر ويتوجع للانسان الذي قد تألَّم بها ·

(التحنن) كماله أن يتحنَّن على المتألمين والمحزونين · فيتألم ويحزن معهم · ويبكي مع الباكين · ويعزي ذوي المحن ويتمكن من أن يخفف عنهم ·

(الحلم والدعة) نهاية الحلم أن يؤثر دائمًا ان يثبت حجته ويظهر صناعته وينصر رأيه ويصل الي غايته · وأما كمال الدعة أن لا ينتصر لنفسه بل ينتصر لوصايا الله ويختصم أرادة الشيطان ·

فهذه هي نهاية هذه الفضائل · واما الرذائل فبالضد مما شرح من كمال الفضائل وقد تبيَّن بعضها ·



الفصل الرابع

(فيما يجب اعتقاده في الإله تعالى ووصاياه)

« ما يجب اعتقاده في الاله تعالى »

يجب أن نؤمن بالله الاب والابن والروح القدس الاله الواحد ونصدق بانه تعالى خالق كل البرايا العقليـة الروحانية . أعني التي لا ترى وانما تدرك بالعقل . وايضاً كل الخليقـة الجسمانية المحسوسة . وانه مالك عليها جميعها وناظر أفعالها وحركاتها الظاهرة . وافكارها ومعقولاتها البـاطنة . وحاوي المخلوقات كلها ولا يحويه شيء منها . يملأها كلها ولا يخلو منه شيء منها . لا يدرك جوهره ولا يحد كمالاً . ولا تدرك الصورة المصورة مصورها . والذي وصفه الانبياء هو ما أستعلن لهم فيه من الصور . فاما جوهره الالهي فلم يره احد كما أخبر الابن الوحيد . ولهذا لما أراد الاله الكلمة انقاذنا والظهور لنـا اتحد بطبيعتنا البشرية .

ونصدق ايضاً ان مواعيده ووعيده ووصاياه وتعاليمه واقواله التي قالها بذاته والتي تكلم بها على السن انبيائه وقديسيه

وشهدائه حقيقية لا بد من كمالها . فانه قال « انا اعطيكم فماً وحكمة » وقال « روح ابيكم الناطق فيكم » . وقال « بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً » . و بولس رسوله قال « يجربون المسيح المتكلم فيّ » وكما نصدّق أن عجائبه في قديسيه منسوبة له . كذلك نصدق ان اقوالهم وتعاليمهم ووصاياهم هي ايضاً له .

وهذا كما أن شعاع الشمس اذا سطع في المرآة النقية الصقل تمتلئ هي من نور الشمس . ثم يصدر عنها الضوء الى مايقابلها فيستضيء بنورها . فالنور في الحقيقة للشمس والمرآة واسطة في ادائه . وكذلك القديسون طهروا نفوسهم ونظَّفوا حواسهم ونقّوا قلوبهم وصقلوا عقولهم بالوصايا المسيحية . فقبلوا من الشعاع الالهي بمقدار استعدادهم . فأناروا غيرهم بالاقوال والافعال التي هي في الحقيقة للاله . وهم الوسطاء في ادائها . وأن نصدّق أنه تعالى المدبّر والمعتني بكافة خلائقه بالانواع المتضادّة تدبير الحكمة التي لا ندركها بالحرّ والبرد او بالصحة والمرض أو بالغنى والفقر . بالخوف والامن او باشراق الأنوار وغيابها . وانه هو المهتم بتغذية الروحانية منها والجسمانية . والمدرّ لها الحياة والحركة التى تعينها على افعالها ودوام وجودها . وانه المعتني بصغيرها وكبيرها .

وجليلها وحقيرها . وليس شيء منها مهمل ولا شيء عبثٌ ولا محتقر . وانه تعالى أبدع الاستقصاآت اي العناصر الاربعة من لا شيء . واخترع منها الموجودات المنظورة . وخصَّ كل عنصر منها بخاصية لا تتغير . وانه انشأ من الماء جميع أجناس الطير السابحة في الهواء . واجناس السمك السابحة في المياه المختلفة الصور والخواص والأفعال . وأنشأ من الارض سائر الحيوانات الماشية فوقها والدَّابة عليها . المختلفة الانواع والاشكال والخواص والافعال . وأنشأ جميع الانواع النامية المختلفة الاشكال والاوراق والازهار والاثمار والطعم والروائح . وانه هو المانح لجميع الحيوانات الطائرة في الهواء والسابحة في الماء والماشية والدَّابة على الارض النفس الحيَّة التي بها تعيش وتتحرك . ولها قوتان خادمة ومخدومة . فخاصيات الخادمة اربعة وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة (او الجاذبة والسالبة) . والمخدومة ثلاثة وهي المربية والمولدة والمغذّية

وهو الجاعل في كل نوع من الحيوان منذ اختراعه الخاصية التي بها يعرف ما ينفعه وما يضره . والصوت المخصوص به . وهو المعطي الناميات النفس الطبيعية المولدة والمربية المغذية .

وهو الجاعل في كل نوع منها خاصيته . في نباته وابرازه الورق والزهر والثمر . كل واحد في اوانه . وانه جعل في كل نوع من الحيوان والنبات منافع كثيرة لأمراض مختلفة تنفع اذا أستعملت في حدّها وتضرّ في غير حدّها . وانه تعالى خلق الإنسان حيوانًا ناطقًا وجعل فيه خواصّ البرايا الروحانية العقلية والبرايا الحسيّة . ففيه مافي النبات والحيوان من القوى الحسيّة والطبيعية .

اما الحيوانية فهي المسماة في الإنسان قوة غضبية ومسكنها قلبه . ومنه ينبعث في العروق الضوارب . وتمام فعلها السلامة والحلم . ولها خاصيّتان فاعلة ومنفعلة فالفاعلة تنبسط في القلب والعروق الضوارب ونقيضها . ومنفعلة ينشأ عنها الغضب والانفة وابتغاء الغلبة .

واما النباتية فهي المسماة في الإنسان قوة شهوانية ومسكنها كبده . ومنه تنبعث في العروق غير الضوارب . وغاية فعلها المحبة . ولها القوى الخادمة والمخدومة . ووضع فيها النفس الناطقة العقليَّة التي نفخها في وجهه . والتى هي على صورة الله وشبهه : نظير الجواهر العقلية الروحانية . الناظرة عالمهم . المخصوصة

بخواصهم . المحلاة بالفضائل مثلهم . ومركزها من الإنسان دماغه . ومنـه تنبعث الأعصاب إلى اقطار الجسم . وتمنحه الحياة والنطق والحركة والارادة وغاية فعلها المعرفة البرهانية . ولها ثلاث قوى . المدبرة والمحركة والحساسة .

فالمدبرة ثلاثة انواع التخيل والفكر والذكر . والمتحركة هي التي تحرك الغضب فتتحرك منها الأعضاء المتحركة حركة ارادية . والحساسة خمسة انواع . البصر والسمع والشم والذوق واللمس . فإذا تأملنا في إبداع الإله تعالى للروحانيين وللاستقصاآت . واختراعه منها باقي المخلوقات المختلفة الأنواع وتدبيره لجميعها بحكمته وتأليفه للمتضادات منها في هذا العالم المركب بقدرته . وضبطه لها على ما خلقها عليه . نصرخ مع داوود النبي قائلين «ما أعظم اعمالك يارب . كلها بحكمتك صنعتها» .

(ما يجب اعتقاده في الانسان)

يجب ان نعتقد ونتيقن ان المؤمنين كلهم قد لبسوا المسيح بالمعمودية واتحدوا به اتحاد الاغصان بالكرمة . وان مَنْ أكرمهم وخدمهم . او مَنْ أحتقرهم وأهانهم . فللمسيح المتحد بهم قـد

أكرم او أهان · وان المسيح ابتاع طبيعة الناس كلهم بدمه · وامر جميعهم ان يحب بعضهم بعضاً كما أحبهم هو · أي يذل كل واحد ذاته عن غيره · المؤمن والكافر الخاطيء والصديق · وان الناس كلهم إخوة بالطبع · من خالق واحد واب واحد وام واحدة · وان رأي الحسود وهيولي الأمور قد فصلت بين بعضهم وبعض · وان الكافر والخاطيء قد مرضا بالكفر والخطية · ولا ينبغي ان يبغض المريض بل نحذره من المرض ونحب الكل لأنهم اخوتنا بالطبع · ونفرح مع المعافى بعافيته · ونتوجع لوجع المريض ونتحنن عليه · ونعمل ما يمكننا في شفائه وراحته او نياحته · والاغذية والاشربة ومعاينة النـاس وسماع اصواتهم · وكل مخلوقات الله حسنة جداً ونافعة لمن يستعملها فيما وضعت له ·

(ما يجب اعتقاده في عمل وصايا الله كالصوم والصلاة) :

نعتقد انها وصايا الله التي تنير العقل وتطهره وانها جليلة القدر ونعماها · إما لا لإيقان التعذيب على مخالفتها · او التصديق بثواب عاملها · او لكمال المحبة لله · إذ نعلم باننا بها ننال الطهارة · وبالطهارة نتحد بالله تعالى فنعملها حباً فيه · لا خوفاً من عقابه ·

ولا املاً في ثوابه فنخدم بالمحبة خدمة الله وننظف قلوبنا ونبذيها مسكناً لله ·

(ما يجب اعتقاده في الطلب من الله)

يجب أن نتيقن اننا ننال طلباتنا من الله اذ ما طلبنا منه غفران خطايانا ومواهبه الصالحة مصدقين بلا شك قول ربنا « اسأَلوا تعطوا · اطلبوا تجدوا · اقرعوا يفتح لكم · ومهما سأَلتموني في الصلاة وتؤمنون انكم تنالونه يكون لكم » ومتيقنين ان السيد الذي امر عبيده باغتفار الخطايا سبعة في سبعين مرّة هو أَولى ان يغفر اضعافاً لا تحصى وان تباطوءه باعطاء الموهبة لمستحقها اختباراً لامانته ان كان لا يضجر من الابتهال · ولا ينفصل عن محبة الباريء اذا لم ينل طلباته سريعاً · كما امتحن امانة ابراهيم إذ وعده بالارض المقدسة وبالإبن وكان يرى ذاته في غربة وشيخوخة وهو مصدّق بغير شك ان الوعد صادق لا بد من كماله · والذي وعد ابراهيم هو وعدنا وقال انه يهب لنا سؤالنا

(ما يجب اعتقاده)

« في المحن الاضطرارية كالفقر والمرض والآلام والاحزان »

يجب ان نصدق انها أدوية نافعة لمن يقبلها . شاكراً للطبيب الحقيقي المرسل الدواء . وللخادم الذي حمله اليه . وانه تعالى المدبر لبراياه بحكمته . والمتسلط عليها بقوته . لا يملكها أحد الا هو . ولا يقدر على تدبيرها سواه . ولا أحد يعرف أمراضها وأدويتها غيره . وان الذي يعرفه أنه يوافق الانسان وينفعه يجلبه عليه . فالشيطان كان غرضه في امتحان أيوب ان يذم تدبير الله . او لا يجعله ان يصدق بانه حاضر معه ومعاينه . او ان ينقص شكره ومحبته له تعالى . او يوضح انه في حين صحته واقباله يكون شكوراً لله وفياً وان مرضه وسوء حظه يكون متذمراً متضجراً ناسباً تدبير الله الى جور او غباوة . وان نعلم ان تأديب الله للخطاة هو ان مرضهم بانواع الخطايا استنهض الطبيب الى مداواتهم بالشربات المرّة . ليستفرغ بها من نفوسهم الكيموسات القتّالة فيستعيدهم الى الصحة .

أما عن امتحانه للصديقين المنزّهين عن الذنوب والمعايب .

كأيوب . فليس هذه المداواة لأمراض نفسانية . بل ليوضح لباقي الناس محبة الصديقين الخالصة لله . وشكرهم الدائم له في السراء والضراء . فيحض المتوانين على التشبه بهم في صبرهم وشكرهم . فيكون امتحان الصديق نافعاً لنفسه ولمن يتشبه به . واما تذمر الضعيف فضارٌّ لنفسه ولمن يوافقه على رأيها و لمن يدينه على قلة صبره . أو يثلبه على صغر نفسه وضعف ايمانه . وان يصدق انه لا يصير شيءٌ في عالمه خالٍ من علمه . ولا يمكن للجرب المحتال أن يؤذي بغير سماحه . وان نتيقن أن الباريء تعالى لا ينفعل بابغاض ولا بحسد ولا بحقد ولا ببخل ولا بغباوة ولا بقساوة . ولا نشك في أنه معدن الحب والخير والحكمة . ولا ننسب اليه شراً .

والعادم الامانة في المحن إما ان يكون معتقداً أنه ليس به مرض ولا يحتاج لمداواة وهذا أشر الامراض النفسانية . واما ان ينسب الطبيب الى جهل أو قساوة . أو ينكر وجوده او تدبيره . وهذا أشنع الكفر وأردى الاعتقاد . فالرسول بولس يقول « كل ما لا يكون بأمانة فهو خطية » . ولا يمكن ان نرضي الله الا بالامانة التامة في الاشياء كلها .

الفصل الخامس

« في بيان ما يعرض من عدم الاعتقادات المذكورة من الشرور »

(الامانة بالله)

ان لم يعتقد الانسان ان الله علة البرايا او المبروات كلها وانه لا يحد ولا يحويه مكان فهو ضال · وان لم يصدق انه تعالى تكلم في قديسيه وصنع الآيات على أيديهم · فهو لا يطيع اقوالهم · وان لم يعلم ان الله يعاين افكاره وهو حاضر دائمًا فلا يضبط نفسه من الافكار الردية والاعمال الشريرة · وان لم يصدق مواعيده فلا يعمل الخير الموصل اليها · وان لم يصدق وعيده فلا يتجنب الشر فيقع فيه ·

(الاعتقاد في الناس)

ان لم يصدق الانسان ان كافة المؤمنين متصلين بالمسيح اتصال الأغصان بالكرمة التي هي تمد الأغصان بالحياة والنمو والقوة والحركة فهو يرفضهم ويفتكر فيهم السوء ويهينهم · وانه قد ابتاع الكل بدمه · ولكنه (اي الانسان) قد احتقر الكافر وبغضه وهذا خطية · وان لم يصدق ان الأغذية وسائر المخلوقات

نافعة لمن يستعملها في حدّها فهو يذمها و يجعل باريها علة الشرّ .

(الاعتقاد في عمل الوصايا)

أن لم نصدّق أن الله تعالى قد فرضها فلا نؤمل من عملها ثواباً . ولا نخاف من مخالفتها عقاباً . ولا نتيقن أننا بها نتطهّر ونتحد بالموصي بها . فربما نعملها بقصد ردي .

(الاعتقاد في الطلبات)

ان لم يصدّق انه ينال بها من الله غفران خطاياه ومواهبه الصالحة فهو لا يرجو خيراً من الله . و يجعل محبة الوالد لولده والسيّد من الناس لعبده أعظم من محبة الله لعباده وهو تعالى عنصر الخير والجود والكرم . الذي خير جميع الناس بالنسبة الي خيره شرٌّ . وجودهم شح . وكرمهم خساسة . فيمنع نفسه بسوء اعتقاده من مواهب الله وغفرانه لخطاياه .

(الاعتقاد في المحن)

ان لم يصدّق أن المرض والفقر والآلام والاحزان أدوية شافية لأمراضه النفسانية فهو يتضجّر منها و يتذمّر ويفتري على الباري بسببها و يرغب في او يؤثر الانتقام من الواسطة

فيها . فيظهر متكبراً عادم الأمانة فلا ينال خلاصه . فان المرأة الكنعانية انما نالت مطلوبها بقوة أمانتها وكثرة اتضاعها .

- الفصل السادس -

(في بيان تفاوت اغراض الناس في عملهم الفضائل)

« وتأويل مواضع من الكتب الالهية »

الرب تبارك وتعالى اسمه يقول عن القابلين الى زرع تعليمه المحيي أن بعضهم أثمر ثلثين وبعضهم ستين وبعضهم مائة . فأشار الى ضمائر وأغراض عاملي وصاياه . موضحاً ان بعضهم يعملها خوفاً من العذاب . فهذا يثمر الفضائل التي مقدارها ثلث الكمال . وبعضهم يعملها طلباً للثواب وهذا يثمر الفضائل التي مقدارها ثلثي الكمال . وبعضهم يعملها طاعة لله وحباً فيه . كالابن الذي لا يخاف عقاب ابيه . كما يخاف العبد عقاب سيده . ولا يؤمل أيضاً مكافأة ابيه كما يؤمل الأجير في أجرة عمله . بل يطيع ابيه عالماً ان الذي لابيه هو له . وهذا يثمر الفضائل التامة للكمال . فبقدر الاعتقاد في عمل الوصية

الواحدة يكون الجزاء عنها · ومما يجري هذا المجرى قول ربنا « مَنْ يقبل احداً باسم نبي · أي وغرضه ان يكرم نبياً فهو ينال ثواب نبي · ومَنْ يقبل فقيراً باسم المسيح اي وقصد ضميره ان يكرم المسيح فهو ينال ثواب مكرم المسيح · ومثل ذلك مَنْ يشاور احداً قديساً فهو يأخذ رأي قديس · ومَنْ يتبارك من كاهن على انه يتبارك من المسيح [1] فينال بركة المسيح · فالله يهب النعم والبركات هي كثيرة وقليلة على قدر طلب وغرض ملتمسها · واذا كان مَنْ يؤمن يمكنه كل شيء · فمن لا يؤمن لا يمكنه شيء · فالنعمة الالهية ينبوع فائض فمن وسع أمانته أخذ منه على قدر علو قصده · ومن صغر طرق امانته اعترف بمقداره كالقائدين · ولهذا قال الرب للفريسي أن مَنْ يحب قليلاً يترك له قليلاً :

فينبغي ان نوسع امانتنا ونعلي قصدنا ما استطعنا . فالامانة تتقدم وتتبعها المحبة والخدمة : فالمرأة على قدر علو أمانتها عظمت محبتها وخدمتها . وكذلك نالت الكرامة العظيمة · وسمعان على قدر صغر امانته كانت محبته واكرامه السيد .

---

(١) أي ويكون قصد ضميره ان يكرم المسيح

فمَنْ يكرم او يشاور او يتبارك من كاهن او راهب حتى ولو كان مبهرجاً . وهو عالمي . بضمر انه يكرم او يشاور او يتبارك من كاهن او راهب فهو ينال من الله حسب ضميره . وان كان قصده أن يشاور المسيح ويطارح مشيئات نفسه . فالربّ الذي عرف برأيه على لسان السائل يعرِّفه برأيه على لسان المسئول .

وكما شفا الراهبة الزمنةاي المريضة في دير النساء بغسالة قدمي اللصّ . الذي تزيّ بزي راهب قدّيس بسبب امانتها . يُشفي بحسب امانة المريض . فاما المجرب والمشكّك والمضمر الخبث فلو ذهب الى اجلّ القديسين فعلى قدر اعوجاج قلبه وسوء ضميره يسمع ما قاله الله تعالى في النبي

« ان أضلّك النبي وتكلّم فانا الربّ قد اضللته »

وهـذا المعنى ظاهر في الانجيل . فان اليهود لمـا ارسلوا للربّ في أمر الجزية بخداع سمعوا الجـواب اللائق بهم . ولمـا سألوه لا لمنفعة ولا لتحقيق امانة وقالوا باي سلطان تعمل هذه الاعمال . ولما التمسوا منه آية من السماء وهم معتقدون انه انسان ارضي . جاوبهم نحو ضميرهم وقصدهم . ولما قالوا . « من اين لهذا مثل هذه الحكمة أما نعرف اباه وامه واخوته » لم يصنع هناك

آيات كثيرة لقلة امانتهم ·

ومما يجرى على هذا النمط من يتبارك بعضو شهيد او بشيء منسوب اليه بخرقة او دهن فبحسب علو قصده او تنازله ينال من بركته · ولو كان العضو لغير شهيد حتي يتبـارك به على انه لشهيد حقيقي · لأفاد افادة الحقيقي كما جرى للصابي · ولو كان حقيقياً حتى لا تكون الامانة فيه قوية تامة لم يفـد · كما جرى ليهوذا في أخذه الجسد من المسيح بغير اعتقاد انه جسـد المسيح الغافر للخطايا · وكما جري لسيمون الساحر لما قبل المعمودية من فيلبس الرسول بقصد ردي · ولهذه المعاني قيل : « يكون لك كامانتك ويكون لك كارادتك · ويعطيك الربّ مثل قلبك » · وقال الربّ : « لا يستطيع احد ان يعبد ربين · الاّ ان يكرم الواحد ويحتقر الاخر » وتوابعه · اي الانسان لا يمكنه ان يهتم بعبادة الله وامور العالم · وكما ان عيني الجسد لا يمكن الانسـان أن يرفع أحدهما إلى العلو ويطرق الاخرى الى اسفل معاً في آن واحد · كذلك ناظر النفس اعني العقل البسيط المفرد لا يمكنه ان ينظر الى الله دائماً وينظر الى الامور لارضية معاً · ولا يقدر يهتم بدراسة شريعتـه ليلاً ونهاراً او يهتم مع ذلك بالامور العالمية · ولا

يستطيع ان يخدم ارادة الله الخدمة الواجبة . و يخدم مع ذلك مشتتات الجسد .

فلنحذر من ان ننقل عبادتنا لله الى التعبد للقنيات واللذّات . فمن يتغلب لشهواته يتعبد لها . وعلى ذلك النحو فمن دهمته المحن الاضطرارية . فلا يمكن العقل فيها ان يلجاء الى الله والناس معاً . لانه لطيف سريع الحركة . فاذا لجاء الى الله فهو ناظر اليه متوكلاً عليه لاصقاً به منتظراً معونته فيجد معونته بحسن نيته وتمام امانته ودوام محبته . فان جنح الى ابتغاء معونة بشرية . مثل مداواة طبيب لمرضه او مثل جاه انسان شريف للانتصاف له من ظالمه . فانه ينحدر من علوّ التوكل على قوة المعونة الالهية على الضعف البشري و يخل من ابتغاء معونة الله والاتكال عليه . و يضاهي من كان ضابطاً بيده حبلاً قوياً وقد انحدر من علوّ فلما جنح بنظره الى الارض وارخا يده انفلت الحبل وتشمر وسقط . وهو كما قيل « تركت ابنة صهيون فتركها الربُّ » . وايضاً « كل الذين يتباعدون منك يهلكون » او كانسان حمل على كتفه لبنة عظيمة ذهباً . وصعد بها الى جبل شامخ والتفت ينظر الى الارض مفتكرا في صعوبة الارتقاء و بُعد المسافة فاسترخا وعثر






https://coptic-treasures.com/








https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/




https://coptic-treasures.com/




https://coptic-treasures.com/







https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/














https://coptic-treasures.com/




https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/




https://coptic-treasures.com/






https://coptic-treasures.com/








https://coptic-treasures.com/










https://coptic-treasures.com/




https://coptic-treasures.com/




https://coptic-treasures.com/






https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/














https://coptic-treasures.com/


https://coptic-treasures.com/








https://coptic-treasures.com/
















https://coptic-treasures.com/





من ذلك ما لا يمكن للمختلط بالعالم المتكفل
بالأولاد والاتباع . فان هذا بمثابة الشمع في
ن كان في طبعه قبول الختم فان برد الوقت
لا انتقاش بصورة الخاتم . واما الراهب فبمثابة
ان حرارته تهيئه لانطباع الصورة فيه بسهولة .
بمثابة تقصير فضلاء العلمانيين عن التشبه بالله
اقة الانسانية . والحرارة بمثابة خدمة الرهبنة
صلاة نهاراً وليلاً وتلطيف الطباع بالاغذية
تلطيف العقل بالقراءة والسهر والفكرة في الله .
ار الشهوانية وبالجملة العالمية . والذي اذكره
فهمته من اقاويل القديسين وسمعته وشاهدته
لامرك والا فكان الاولى بي الصمت . فان
الا من شاهدها والطريق لا يسلكها الا من
سبيل الروحانيين لا يعرفها الا الروحانيين
الروحانيين لباس الصوف والاختلاط بالرهبان
تهم واحتمالهم . والصوم كل يوم الى التاسعة
. فاذا ارتاض في ذلك مدة وصار له بالاعتياد

كالطباع اشتاق الى ما هو اشرف وحينئذٍ ينتقل الى المرتبة الثانية ·

وهو ان يقتصر من المشارب والمآكل على أنذرها وأحقرها ليتيسر له مداومة السهر والصلوات والبكاء والخشوع والتضرع · فيكتسب من هذا الاتضاع والابتعاد من السبح الباطل · واذا صار هذا ايضاً له بالادمان كالطباع · اعني لا يضعف طبعه عنه ولا يمانع فيه · فحينئذٍ يشتاق الى ما هو اشرف وهو المرتبة الثالثة

وهي ان ينفرد من الرهبان ويتوحد في مكان هادٍ بمنزلة حبيس او سائح · ويلزم السكون والسكوت · ويتعبَّد العبادة العقلية الروحانية · فيصلي دائماً ان كان قاعداً او قائماً وينصب عقله ناظراً الى الله متفكراً في السمائيات والروحانيات والدائمات والموجودات ويتشبه بالملائكة في دوام التسبيح ولهذا قيل ان الراهب هو ملاك جسماني او انسان روحاني

ثم يقتات العشب ويكون قد أمات الشهوات بالارتياض واستعدّ للموت · وتصور النقلة الى عالم الروحانيين · وحينئذٍ يبتدئ في تخيل المناظر الالهية · والتشوق الى السمائيات · وحينئذٍ تنبعث فيه الرحمة للناس كلهم وهي المنزلة الرابعة

فيبلغ في الرحمة والمحبة والاتضاع مبلغاً عظيماً ويصير يدعوا للناس كثيراً . ولهذا نستشفع نحن بهم ونتوصل بطلباتهم لدالتهم ووجاهتهم وتعبتهم وأدعيتهم . واذا استمر على كل ما تقدم ذكره بلغ المرتبة الخامسة

وهي ان يشرق على عقله نور اللاهوت ويتحد به فعند ذلك يشاهد الروحانيين الانبياء · والرسل والقديسين الذين انتقلوا الى عالم النور · ويرى الملائكة والمسيح ربنا حسب ما يمكنه في هذا العالم أن يرى · ولا منزلة في هذا العالم أرفع من هذه وهي منزلة مقاريوس وارسانيوس وانطونيوس وسمعان الانطاكي ومَنْ يجري مجراهم من القديسين ·

وهكذا قال سمعان المذكور أن الذي يغلب الآلام بخدمة الوصايا والتعب الشديد · تعب التدبير الحقيقي فقد اقتنى من خدمته صحة النفس · فتنقطع معرفته من وخامة هذا العالم · وتنقطع منه العادات القديمة ويولد ثانياً في الروحانية وتظهر نعمة اللاهوت في بلدة الروح بحركات أجود من حركات الإنسان · وتنتقل عقله الى العالم الجديد العادم التركيب · فاذا ما تجدد الضمير وتقدس القلب فجميع حركات

الشهوة التي فيه انما تتحرَّك حينئذٍ بحسب طبع ذلك العالم الذي يدخل إليه . فتتحرَّك فيه أولاً محبَّة الاشياء الإلهيَّة ويشتاق الى مشاركة الملائكة القديسين . والى معرفة أسرار الروح . ويحس عقله بمعرفة البرايا الروحانيَّة . ويشرق فيه الناظر على أسرار الثالوث .

وقال أيضاً : فاما العلم والفهم اللذين مع الآلام فليس ينفعان شيئاً ولا يستطيعان أن يفتحا الباب المغلق في وجه الطهارة . فاما ان ارتفعت الآلام عن النفس وزال عنها محبَّة العالم . فان المعرفة تضيء فتقوم في بلد الطبع الطاهر . ولا تكون محتاجة الى سؤال . لأنها تدرك ادراك مشاهدة . لا ادراك سماع خبر . كما أن ألاعمى لو اكثرت له من وصف شعاع الشمس ونور القمر ونظم النجوم . لكانت معرفته بعيدة عن لذَّة ادراك مناظرها . وهذا هو الفرق بين مشاهدة مناظر الروح . وبين سماع مناظر الروح . لأن العقل الناظر الى خفيَّات الروح اذا وقف في صحة طبعه . حينئذٍ يكون الى مجد المسيح ناظراً . ولا يحتاج الى أستعلام . بل يتنعَّم بلذة اسرار العالم العتيد . ويكون جريه بمقدار حرارة الأمانة والرجاء

بالمسيح . فمن أشرق نور الاله على عقله ونفسه فعل حينئذٍ المعجز وصار روحانيـاً . وهؤلاء بمثابة مَنْ يقـدمه الملك ويخلع عليه ويوليه عملاً . ويجعله رئيساً لخدمة تقدمت له . فتطيعه الرعايا وتنقـاد لأمره . فتطيعهم المخلوقات بالطبع لاتصالهم بالخالق .

فان قيل قـد فعلت الانبياء وغيرهم المعجزات بالقوة الإلهيـة بغير سلوك الطريق التي ذكرتم : قلنـا أن أولئك أختيروا للرسالة فأيدوا بالمعجزات ليصدّقوا . لا لانهم تهذبوا فصفوا بالخدم الإلهية . فان موسى النبي لمـا قال الله له امض الي فرعون . فقال له بماذا يصدقني . فاعطاه المعجز في العصاء وفي يده . وايضاً لقوة ايمانهم ومحبتهم لبـاريهم . حتى بذلوا نفوسهم في طاعته كرسل المسيح . فهذا الذي ذكرته انما هو شروط الرهبنة . لا ما بلغت أفاضل الرهبان اليه من النسك والتأله . فان الذي يخفونه عنا من فضائلهم اكثر مما يظهرونه لمنافع مخصوصة .

وقد وضعت مشائخهم كتباً في العلم والعمل . مثل بستان الرهبان . ونسكيات باسيليوس وميامر الدرجي . وهي

تجري مجرى الكناسات الحاوية لجزأي الطب العلمي والعملي مما قد جرب وصح الانتفاع به ·

فان قيل قد يكون راهب مقصرًا وعلماني مجتهدًا فيكون العلماني أشرف من الراهب · قلت ان بين اقل الرهبان وأفضل العلمانيين خمس مراتب من النسك · يزيد بها الراهب · اولها خلعه اللباس الناعم ولباسه الخشن من الصوف · ثم نومه في ثيابه وقيامه فيها · ثم امتناعه من دخول الحمام · ثم امتناعه من اكل الطيبات من اصناف اللحوم · على تفنن أطبختها · ومن شرب أصناف الاشربة المسكرة والحلوي · الا للضرورة التامة وقد لا يجدها · ومن التطيب وشم الارايح العطرة فانه لا يجدها · لأنه أبتعد عن ذلك كله اختيارًا منه · ثم امتناعه عن لذة الشهوة وقطعه حركة الطبيعة · ثم خروجه من العمارة · ومفارقة الوطن والأهل والصديق · وسكناه البريه للأبتعاد عن الرذائل وعمل الفضائل · فمثابتهم مثابة مَنْ تجنّد واثبت نفسه في ديوان الملك جنديا · فمنهم من يهتم بآلته وخدمته ومنهم من يقصر في ذلك · الا أنه من جملة الجند الملكيّة باختياره ورغبته · فهو أشرف في المملكة

من العامي ٠

وجميع ما ذكرته من مراتب العلم والعمل انما هي بسائط مفردة ٠ وقد يركب بعضها مع بعض فحدث عن تركيباتها صورًا أخرى ٠ وقد يكون قوم علماء بغير عمل ٠ واهل عمل بلا علم

ــ (الباب العاشر) ــ

« في تسهيل العلم والعمل »

فان قيل هذا الترتيب يريد مدة كبيرة ٠ وفي سلوكه صعوبة ٠ وقد يدرك الإنسان أجله قبل بلوغه ما يؤمله ٠ قلنا انما دللنا على الأمر الأفضل في ترتيب العلم والعمل ٠ والا فللإنسان ثلاث طرق ٠ أما الغاية فهي التي ذكرناها ان ساعدته الهمة ٠ وصحة الطبع ٠ والوسطى أن يتعلق من كل شيء بطرف ٠ ويبادر الى العمل ٠ والاخيرة من العلوم الديانية على ما يسهل فهمه منها ٠ مثل العظات وسماع الوصايا المودية الى العمل ٠ ويقتصر على الأجتهاد في العمل حسب طاقته ٠

والوصايا منها ما يتيسر للاغنياء ومنها ما يتيسر للفقراء ٠

ومنها ما يشتركان فيه وهي العقلية . كمحبة الأعداء . والدعاء للمسيئين . والصلاة والزهد وقهر الشهوات وترك الحسد والحقد .

واما الحسية فستة منها ثلاث للاغنياء وهي اطعام الجائع وكسوة العريان وافتقاد المرضى بالنفقة عليهم

ومنها ثلاث للفقراء . سقي العطشان وايواء الغريب وتفقد المحبوس . وخبر السقاء مع بطركنا بمصر في كنيسة المعلقة . لما خرجت النصارى وصلوا فارتفع الجبل حتى رؤية الشمس في مكانه . ثم انحط متدكدكاً . يدل على ان خدمة الوصايا قد تبلغ المقصود اذا لم تكن فسحة ولا قدرة في تقديم العلم .

فخدمة الوصايا هي قربان النفس والجسم . وهذا لكل أحد . وهو أجل من قربان المال المختص بقوم دون قوم . ولذلك قال داوود النبي : « ذبائح الله أرواح متضعة » .

وبالجملة فالذي يعمل ولا يعلم . أفضل من الذي يعلم ولا يعمل . والذي يعلم ويعمل أفضل منهما . لانه يعلم شرف مطلوبه فلا يرجع عنه . فاما الذي لا يعلم فربما ضجر فقصر .

والذي لا يعلم ولا يعمل انقص منهم . فالعمل يلزم كل احد على حسب طاقته : فان قيل قد نرى من له اعمال حسنة وهو لا يعلم وهي أفضل وأزيد من أعمال الذي يعلم ويعمل . قيل له ما ننكر ذلك اذ ما هو بهذه الصورة فمادته الايمان القوي . الذي هو بمثابة العلم اليقين المقوى على الاعمال . بل افضل وهو موجود في العلمانيين والنساك . ويحتاج اليه العلماء وغيرهم . ومَن منح قوة ايمان استغنى عن العلم . وانما يحتاج الى العلم مَن لم يمنح قوة ايمان . واذا كان المقصود بالعلم التأدية الى العمل . فلا ينبغي ان نقتصر على العلوم الادبية فانها لا تؤدي الى الاعمال الفاضلة . وقد تعوق عما هو أشرف منها من العلوم الفلسفية والديانية المؤدية الى الاعمال الفاضلة .

وقد يراد الشيء ويستعمل . اما لذاته واما لغيره . مثل القلم للكاتب فانه لا يراد لذاته . لكن للكتابة به . والكتابة لتقرأ . والقراءة للحفظ . والحفظ للعمل . وكذلك العلوم الأدبية هي مداخل للعلوم الطبيعية . والعلوم الطبيعية بها يعرف الانسان ذاته أولاً . ثم سائر المخلوقات وهي مدخل للعلوم الديانية . والعلوم الديانية تراد لمعرفة الإنسان باريه

حسب طاقته والعمل بأوامره ونواهيه . والعمل يؤدي الى التشبه بالخالق قدر مكنة المخلوق . وهذا يؤدي الى اتصاله به حسب استعداده . وهذه هي الغاية المطلوبة لذاتها لا لغيرها فاذا لم تكن للانسان فسحة لقراءة الادبيات فلياخذ ما يحتاج اليه من الطبيعيات والفلسفيات . وبالجملة فلا بد من العلوم الديانية الاولى منها فالاولى . والذي لا بد منه منها علم العمل . وهو معرفة وصايا المسيح ربنا لتصفو نفسه فينال العلم الحق . لان سيدنا قال : «طوبى للنقية قلوبهم فانهم يعاينون الله» . والعادات الجيدة والردية لها تاثير ظاهر في نقل الطباع .

وكاني بقائل يقول : «ايها المرشد ارشد نفسك اولاً» . وتجبهني بقول الرب في الانجيل : «اقلع الخشبة من عينك اولاً وحينئذ تنظر ان تخرج القذى من عين اخيك» . وبقوله للفريسيين انهم يحملون اوثاقاً ثقالاً على اعناق الناس ولا يهوون ان يحركوها باصبعهم . فاقول : لعمري انه ليجب ان يبتدئ الإنسان باصلاح نفسه قبل اصلاح غيره . والأحسن ان لا يأمر بخير وينهي عن شر الا وقد فعل هو كذلك .

لكن هاهنا أسباب تحرّك على التنبيه والارشاد . منها ان كل الناس لا يعرفون الطرق التي تؤدي الى العمل . فيحتاجون الى الارشاد اليها . واذا كان العالم لا يعلم حتى يستكمل العمل لم يعلّم إلاَّ النادر . وبعد نفاذ غالب زمانه . وقد يتوحد عند كماله فلا يوجد . فكان يعدم التعليم كليّةً . فيضل الناس لا سيما ومنهم أُمّيون . ومنها انه يكون كالدافن فضة سيّده اذ قد تكون موهبته هي العلم كما قال الرسول . ولهذا المعنى ضرب سيدنا هذا المثل وفيه من الترهيب ما فيه . وبالجملة فلو كان احد لا يأمر بمعروف ولا ينهي عن منكر إلا حتى يتقدّم فيتمثلها ويفعلها لقلّ الواعظون وعدم المنفعة الموعوظون . والعالم والمعلم اما ان يكون قد تقدم فعمل او قد ابتدأ في العمل أو توسطه او عزم عليه . ولا بد له أن يكون له عمل ولو يسيراً . وإلاَّ فعزماً على العمل لعلمه بفضل العمل . ومحبة الأفضل طبيعية . والعلم نور يهتدى به . ولهذا قال الربّ لتلاميذه : « انتم نور العالم » أي معلموه . فسقوط العالم ليس كسقوط الجاهل . كما ان سقوط مَنْ يمشي في النور ليس كسقوط من يمشي في الظلمة . لان الرب قال : « مَنْ يمشي

في النور لا يعثر» . فان سلك العالم في طريق الفضيلة فعلمه زيّن له ذلك فيتقدم في سيره دائماً . وان سار في ضدها فالنور يبين له خطأه فما يبعد رجوعه . فاما الجاهل فهو بمثابة من يسير في الظلمة . فان أصاب الطريق فليس يدري . وان ضلّ فما يهتدي .

وقد قال المسيح ربنا « : على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكلما يقولونه لكم اعملوه ومثل اعمالهم لا تعملوا . لانهم يقولون ولا يفعلون » . فقد أوجب بهذا القول القبول من اهل العلم . وان كانوا لا يعملون .

وقد قال عاقل لو كان الناس لا يعظون حتى يحكموا امر نفوسهم لارتفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وان الشيطان ليودّ لو ظفر بهذا منكم . واما قول سيدنا لم تنظر القذى الذي في عين اخيك وتتمته فانما قصد به توبيخ الذين قصدهم الدينونة لا العظة والارشاد . لانه ابتداه بقوله : « لا تدينوا ليئلاً تدانوا » .

اما انا فاني عارف ان هذا الذي اوردته ولو انتفع به بعض الناس فهو يكون حجة عليّ يوم الدين لتقصيري في العمل .

اذ قد صرت بمثابة الشجرة الكثيرة الاوراق ولا ثمرٌ لها . لكني لحقك قضيت والى مرادك سعيت . فليكن منك وممن قرأ في هذه المقالة بسؤال مني مساعدة في الدعاء لنا جميعاً على المعونة في العمل والخلاص من ظلمات عالم التغيير والتركيب . والوصول الى نور عالم التهذيب .

واعلم ان النصارى قد اختصوا بامور فاضلة وشريفة . منها ان فيهم تمت نبوات الانبياء كقول اشعياء : « ان الارض تمتلئ من معرفة الله مثل الماء الفائض على وجه الارض » . ومنها انهم تمموا شروط الفلسفة وحدودها . وأخرجوها من القوة الى الفعل . وزادوا عليها بالعمل وبينوا شرفها . ومنها ان الجود بنهاية الوجود عنهم مأخوذ . وكذلك الصفح والتفضل والاتضاع ومحبة الكل . ومنها ان نساكهم أتم الناس نسكاً واكثرهم عدّة وأفضلهم عملاً حتى لقد عمروا البراري والجبال والاودية . ومنها ان ملوكهم مالكون اكثر ممالك العالم واشرفها واوسعها واخصبها . فمنها ممالك الفرنج والروم والديلم والأرمن والكرج والترك والنوب والحبش . ولا يجاورهم الاَّ مَنْ هم أقوى منهم . ومنها ان عوامهم افضل الناس خلقاً . فان اكثرهم اذا

تخاصموا سارعوا الى الاستغفار والصفح

فالشكر لله الذي جعلنا اشرف الناس ديانة . وافضلهم علماً وعملاً . واهلنا لمرتبة البنوة . كما وعدنا انه يقول لنا : « تعالوا إلىّ يا مباركي ابي رثوا الملك المعدّ لكم من قبل انشاء العالم » .

فنحن لوعده منتظرون . وبرجائه متمسكون . وبهدايته مسترشدون . وبعونه متعضدون ولجوده شاكرون . ولعظمته ممجدون . والمجد لله دائماً

تمّ كتاب العلم والعمل

اختصار الفاضل يوحنا

بن ساويرس الكاتب المصري



